محاضرة 7:الدولة المملوكية– 1250–1517م–

1–أصول المماليك:

المملوك جمع مملك هو العبد الذي سُبي ولم يملك أبواه؛ و العبد القن هو الذي مُلك هو وأبواه والمملوك عبد يباع ويشترى، وقد أخذت التسمية مدلولا اصطلاحيا خاصة في التاريخ الإسلامي اذ اقتصرت منذ عهد الخليفة العباسي أبو العباس عبد الله المأمون 198–813/218–833 ثم أبو إسحاق محمد المعتصم بالله 218–227هـ/833–842م على فئة الرقيق الأبيض الذي كان الخلف أو كبار القادة والولاة العباسيون يشترونهم من أسواق النخاسة لاستخدامهم كفرق عسكرية لتدعيم نفوذهم ومع الوقت أضحى المملوك الأداة العسكرية الوحيدة في بعض جيوش الدولة الإسلامية، وكان من هؤلاء العنصر التركي، حيث يُعد الخليفة المعتصم أول من اعتمد عليه في الجيش وبلغت عدتهم 8آلاف مملوك تمَّ شرائهم لذلك ومع الوقت تقوت شوكتهم وأصبحوا يتدخلون في شؤون الخلافة منذ العصر العباسي الثاني 232–334هـ/847–946م وقامت على إثرهم الدويلات المستقلة ذات الأصول التركية والفارسية.

2–تشكيل دولتهم :

هي إحدى الدول الإسلامية التي قامت في مصر خلال أواخر العصر العباسي الثالث وامتدت حدودها فيما بعد إلى الشام والحجاز ودام ملكها منذ سقوط الدولة الأيوبية سنة 648هـ/1250م حتى بلغت الدولة العثمانية ذروة قوتها وضم السلطان سليم الأول الديار الشامية والمصرية بعد هزيمة المماليك في معركة : الريدانية سنة 923هـ/1517م.

يُقسم المؤرخون الدولة المملوكية إلى فرعين هما دولة المماليك البحرية ودولة المماليك البرجية، حكم المماليك البحرية من سنة 648هـ/1250م الى سنة 748هـ/1382م وكان أكثرهم من الترك المغول وحكم المماليك البرجية من784هـ/1382م الى سنة 923هـ/1517م وكانوا من الشركس خاصة أن المماليك كما ذكرنا أصولهم رقيق محاربين استقدمهم الخلفاء العباسيون الأوائل من تركستان والقوقاز وقد استخدمهم السلاطين الأيوبيون وظهر تدخلهم في شؤون الدولة حين مات آخر السلاطين الأيوبيين وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة647هـ/1249م وكتمت زوجته شجرة الذر النبأ إلى أن حضر ابنه توران شاه من الجزيرة الفراتية الى القاهرة قدم توران مماليكه الذين اصطحبهم معه فعينهم في

مناصب الدولة فقام المماليك القدماء في مصر وقتلوه ونصبو «شجر الدُّر» سلطانة عليهم سنة 1250م وهي أول امرأة وليّت شؤون الدولة.

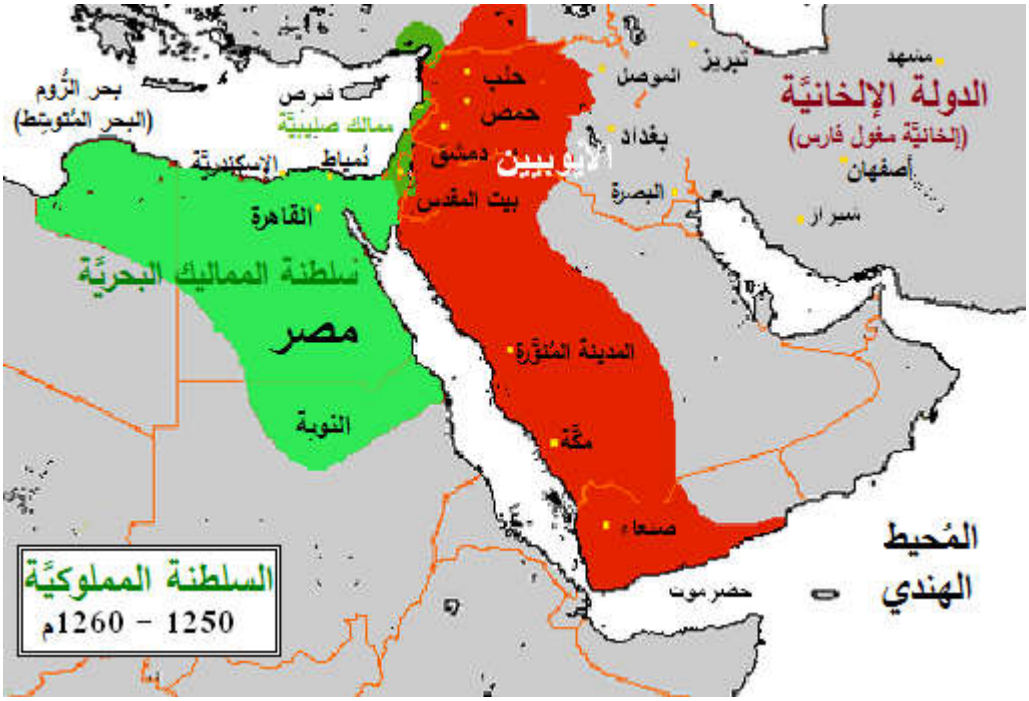

خريطة تظهر انقسام المشرق الإسلامي بين الأيوبيين في الشام والحجاز واليمن(باللون الأحمر)

والمماليك البحرية في مصر(باللون الأخضر)

3-أهم المنجزات التاريخية للدولة:

ظهر المماليك بمظهر المنقذين للعالم الإسلامي من الضياع فبعد سقوط بغداد في يد المغول بقيادة هولاكو خان ومقتل آخر خلفاء بني العباس« أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله» سار المغول لغزو الشام وهددوا مصر، فأرسل سلطان المماليك سيف الدين قطز جيشا إلى فلسطين لصد التقدم المغولي وهزم المغول في معركة عين جالوت شمال فلسطين 1260م.

كما اهتم المماليك بمحاربة الصليبين وكان ملكهم الظاهر بيبرس أول من تابع مسيرة الجهاد ضد الصليبيين حيث استعاد الكرك وقيسارية ويافا وغيرها من المدن بين سنتي 1263-1266م كما استعاد المسلمون أنطاكية سنة 1268م من يد الفرنجة.

ومثل ذلك قام به السلطان «سيف الدين قلاوون» فاسترجع طرابلس الشام سنة 1289م وتوفي وهو يهيء حملة لاسترجاع عكا سنة 1290م وقد أكمل المهمة بعده ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل سنة 1291م وكانت المرفأ الرئيسي للصليبين.

4- سقوط دولة المماليك:

فقدت دولة المماليك قوتها الاقتصادية في مصر والشام مع اكتشاف واستخدام طريق رأس الرجاء الصالح في عام1488م على يد البرتغاليين، فاكتشاف هذا الطريق البحري إلى الهند جعل أوربا تستغني عن عبور سفنها المحملة ببضائع الشرق عبر البحر الأحمر حتى ميناء"القزم" السويس الآن ومنه برا حتى ميناء الإسكندرية ومنه لأوربا، وضياع ماكان يفرضه المماليك من رسوم وضرائب على تلك البضائع.

تفاقم الأزمة الاقتصادية للدولة المملوكية في عهد"قنصوه الغوري"(1501-1517)، خاصة بعد هزيمة المماليك أمام البرتغاليين في موقعة"ديو البحرية"، عام1509م، حيث تسببت الأزمة في إضعاف الجيش المملوكي.

كما دب الضعف بسبب انقسام المماليك السياسي(المماليك البحرية والبرجية) وتنازعها فيما بينها ما أدى إلى إضعاف الدولة مع تنامي نفوذ وقوة الدولة العثمانية التي تمكنت على عهد سلطانها سليم الأول من التوسع وضم البلاد الشامية والمصرية على إثر هزيمتهم للمماليك في معركة الريدانية ما أدى إلى انهيار دولتهم وسقوطها سنة923هـ/1517م.